مفتدين

(أفسس ١:٧ و ٨)

تأليف: جو شوبيرت

في كل قارة وفي كل دولة ومدينة وفي كل عائلة وأسرة، يجتمع الناس في أوقات الاحتفالات. على سبيل المثال، يحتفل الناس بعيد الميلاد وأعياد أخرى. نصنع الديكورات ونتبادل بطاقات التهنئة والهدايا، نلتقط الصور ونسجل الڤيديو لكي نتذكر الاحتفال والمشاركين فيه.

نحتفل في بلادنا بمختلف الأعياد - عيد ذكرى الشهداء وعيد الإستقلال وعيد العمال هذه الاحتفالات تضم العائلة والأصدقاء، والقيام بالنزهة والألعاب النارية والمسيرة. بهذه المناسبات نتذكر أين وصلت أمتنا، وما الذي أتى بنا إلى هنا، وما الذي نؤيد ونناضل من أجله، وما هو مكاننا في التاريخ.

عندما نأتي إلى الكتاب المقدس، نكتشف أن الاحتفال الأكثر أهمية في حياتنا يجب أن يكون احتفال بما عمله الله لنا بالمسيح. يجب أن تكون لكل مجموعة عامة من شعب الله احتفال كبير بمن هو المسيح وما عمله.

الكلمات الإفتتاحية من الرسالة إلى أهل أفسس تتميز بالاحتفال في تسبيحات بولس لله لكل ما أعطانا في المسيح. نجد في أفسس ١:٣-١٤ جملة واحدة مليئة بالاحتفال.

في التسبيح بالنصر، أحتفل بولس بان الله قد باركنا بكل بركة روحية في المسيح (١:٣). إنه احتفل بان الله قد جعنا شعبه المختار في المسيح (١:٤). احتفل بولس بان الله قد تبنانا لنكون أولاده (١:٥) واحتفل بالنعمة المعطاة لنا مجاناً في المسيح (١:٦).

ثم نأتي إلى هذه العبارة المثيرة للدهشة والاعجاب: «الذي فيه {المسيح} لنا الفداء بدمه غُفران الخطايا حسب غنى نعمته التي أجزلها لنا...» (أفسس ١:٧ و ٨).

في المسيح نحتفل بإفتداءنا. كيف يتجلى هذا الاحتفال؟

نحن نحتفل بمعنى الفداء

«الذي فيه لنا الفداء بدمه...» (أفسس ١:٧). احتفل بولس بالفداء في المسيح، ولكن ماذا كان يعني بالـ«فداء»؟ تذكر كلمتين: «الحالة» و «الثمن».

الفداء يخبرنا بشيء عن الحالة التي كنا فيها قبل إفتداءنا. قام أحد المعلقين بهذه الملاحظة: «الفكرة الأساسية للفداء هي اطلاق سراح شيء أو شخص كان ينتمي إلى آخر» (مقتبس من فرانسيس فاولكس).

في العهد القديم، كان الفداء الثمن الذي يُدفع لكي يحصل العبد إلى حريته. الفداء كان أيضاً ما عمله الله لإسرائيل عندما حررهم من عبودية مصر. الفداء يعني التحرير أو الحرية من سيادة الآخر. كتب بولس عن الرهن «تحت الخطية» (رومية ٧:١٤) الفداء يذكرني عن الحالة التي كنا فيها قبل مجيئنا إلى المسيح. كانت الخطية سائدة علينا.

لفهم معنى الفداء، علينا أن نفهم حالة الخطيئة التي كنا فيها. علينا أيضاً أن نفكر كم كلف لإخراجنا من تلك الحالة. ماذا كان ثمن الفداء؟ قال بولس: «لنا الفداء بدمه...»، لم يكن الفداء رخيصاً، بل كان الثمن باهظاً جداً. قال يسوع نفسه انه أتى«ليبذل نفسه فدية عن كثيرين» (مرقس ١٠:٤٥). وقال بطرس: «عالمين أنكم أفتديتم لا بأشياء تفنى بفضة

أو ذهب من سيرتكم الباطلة التي تقلدتموها من الآباء بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح! » (١ بط ١:١٨ و ١٩).

وتقول الرسالة إلى العبرانيين ٩:١٢ بان المسيح « وليس بدم تيوس وعجول، بل بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى قدس الأقداس فوجد فداءً أبدياً ». جاء فداءنا بأغلى ثمن يمكن تصوره – الموت القاسي لابن الله.

لا يسعنا إلا الشعور بالحزن عندما نشاهد على التلفاز الحروب الأهلية التي تدور في بعض الأجزاء من العالم. يستيقظ الناس كل يوم دون ان يعلموا ماذا يتوقعون. يفترق أفراد الأسرة كل صباح دون علم فيما لو كانوا سيلتقون مرة أخرى في نهاية اليوم، انها حالة مرعبة. وانها تجعل الناس الأحرار مثلي أن نقدر الأمن النسبي والحرية التي نتمتع بها هنا في الولايات المتحدة. ما أتمتع به مع الآخرين جاء بأغلى الثمن. صفوف الصلبان البيضاء في أماكن مثل مقابر أرلينغتون الوطنية حيث دفن فيها أكثر من ٠٠٠ ، ١٦٠ أمريكي من الذين ماتوا في الحرب، تمثل ثمن الحرية.

بذل يسوع حياته من أجلنا. إن لم يكن قد صعد إلى الجلجثة، لما كان هناك أي رجاء لنا. لقد دفع ثمن فداءنا. هو فادينا.

ماذا نفعل بهذه الحقيقة؟ هل نخزنها فقط في عقولنا؟ هل نغني عنها فقط؟ هل نتذكرها أحياناً فقط؟ قصد يسوع بحقيقة الفداء أن تحدث تغييراً كبيراً في حياتنا. انه افتدانا لكي نستطيع ان نكون حسب ما قصد الله لنا دائماً – أناس يقدمون له الإجلال والكرامة والمحبة والمجد. عندما اختار أن أعمل عكس هذه الخطة وأعيش في الخطيئة، انه بمثابة اختياري أن أعيش كما لو لم يمت يسوع على الصليب أبداً؛ كما لو لم يكن له أي معنى؛ كما لو لا يستحق أي تقدير؛ وكأن نزفه و موته من أجلي غير مهم.

معنى الفداء هو ان يسوع دفع الثمن ليأتي بنا إلى حيث يريد الله منا أن نكون – خارج الجهنم ومستعدين للسماء.

نحتفل بنتيجة الفداء

« الذي فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا... » (أفسس ١:٧). نتيجة الفداء هي غفران الخطايا.

الاسم « غفران » (من الكلمة اليونانية: أفيسيس) تأتي من الفعل الذي يعني « يخرج خارجاً، يصدر أمراً، يغادر. » أخرج الله خطايانا خارجاً. انها لم تقف فيما بعد بيننا وبين الله.

الذين عاشوا في ظل العهد القديم كان لهم تيوس العزازيل {كبش الفداء}. وفي يوم التكفير، يضع رئيس الكهنة يديه عليه كعلامة لنقل كل الخطايا من الشعب إلى التيس. ثم يؤخذ التيس خارجاً إلى مكان بعيد في البرية حتى لا يستطيع العودة إلى الخيمة. قد مضى التيس، وهكذا الخطايا أيضاً قد مضت (لاويين ١٦).

صار يسوع المسيح كبش الفداء. أخذ ذنوبنا وقبل العقوبة:

> « ...والرب وضع عليه إثم جميعنا » (أشعياء ٥٣:٦).

> « فإن الذي لم يعرف خطيئة، جعله الله خطية لأجلنا، لنصير نحن بر الله فيه » (٢ كو ٥:٢١).

> « ...الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة... » (١ بط ٢:٢٤).

سُئلت مجموعة من الناس ذات مرة عن معتقداتهم الدينية. وتم التعبير بمختلف الآراء عن السماء وعن الجحيم. وكانت وجهة النظر العامة التي عبر عنها هي: المكان الذي تقضي فيه الأبدية يتوقف على ما هو مدى صلاحك. أي بعبارة أخرى، إذا بقى الشخص بعيداً عن خلق المشاكل، ويقوم بمسؤولياته ويتعامل بالحسن مع الناس ويقال عنه الكثير من الإيجابيات عما يقال من السلبيات، فذلك الشخص سيمضي إلى السماء.

لا يوجد هذا الفكر في الكتاب المقدس! يعلمنا الكتاب المقدس بان ما من احد صالحاً بما فيه الكفاية ليدخل إلى السماء: « ليس باراً

ولا واحد » (رومية ٣:١٠)؛ « إذ الجميع أخطأوا واعوزهم مجد الله » (رومية ٣:٢٣)؛ « لأن أجرة الخطية هي موت » (رومية ٦:٢٣).

تلك الآيات الثلاث وحدها تدحض النظرية القائلة ان الصلاح يقود الناس إلى السماء. انه ليس بذات أهمية إن يتم إختيارك كأفضل طالب في مدرستك، أوتحصل على تقدير النادي الإجتماعي كمواطن مثالي، أو احترام كنيستك المحلية كشخص حنون يهتم بالآخرين. لا يمكنك دخول السماء بالاعتماد على نفسك الصالحة. لن يدخلنا الصلاح إلى السماء، ولا واحد منا يمكن على الأطلا ق أن يكون صالحاً بما فيه الكفاية. خطايانا تؤكد ذلك.

منذ المرة الأولى التي أخطأتُ أنا فيها، والمرة الأولى التي أخطأتَ أنت فيها أيضا، أصبح الدخول إلى السماء مستحيلاً لنا من خلال أعمالنا الصالحة. ولا واحد منا يستطيع أن يعمل شيء لـ « نزع خطية » الخاطيء.

بغض النظر إن كنا نبدوا صالحين في نظر الآخرين، اننا غير مقبولين عند الله. لا نستطيع أن نجعل أنفسنا مقبولين عند الله. الله وحده يفعل هذا حينما يغفر لنا. وهو يفعل هذا بإزالة خطايانا. لهذا نحتفل بنتيجة الفداء – مغفرة الخطايا.

نحتفل بمعيار الفداء

« الذي فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته التي أجزلها لنا بكل حكمة وفطنة » (١:٧ و ٨). وضع بولس التوكيد على اتساع وتتميم غفراننا. امتداد غفراننا يقاس بنعمة الله غير المحدودة التي جعلها تفيض في حياتنا.

الله يفدي ويغفر حسب غنى نعمته، لا يضع الله حداً معيناً، لا يسمح الله للشخص بمقدار معين فقط من الخطايا « الكبيرة » كحد لا نتجاوزه. « ولكن حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جداً » (رومية ٥:٢٠). لا يمكن لأي مخلوق بشري على الاطلاق أن يخطيء إلى حد لا تبلغه نعمة الله. لا يمكن أبداً لخطايانا أن تكون مرعبة، ولن تكون متعددة بحيث تعجز نعمته عن التعامل بها.

الحقيقة هي ان: الصلاح لن يقودك إلى السماء بغض النظر عن الجهد المبذول؛ من ناحية ثانية، كثرة الإثم لا تستثنيك من السماء إذا ما وضعت إيمانك في يسوع.

كتب توم ليمونس رواية تعود بالقُراء إلى القرن الأول، إلى زمان صلب يسوع المسيح، وإلى السنين التي تلت ذلك. الشخصية الرئيسية في الرواية هي شخصية نجار اسمه لينوس الذي استيقظ في إحدى الليالي فجأة واستجمع فكرته ليصنع صليبا يصلب عليه معلم متمرد من الناصرة؛ وقام بذلك. وفي وقت لاحق من ذلك اليوم نفسه، وقف لينوس جانباً وشاهد يسوع الناصري ينزف ويموت على الصليب الذي صنعه.

فساد عليه الشعور بالذنب. هرب من أورشليم ومضى بحثاً عن كل من الحق والحياة. وبعد مرورسنين، كان موت المعلم الجليلي لايفارق تفكيره. قابل لينوس رجلاً من طرسوس اسمه شاول. وفي لقاءهما التخيلي، جرى بين لينوس وشاول هذه المحادثة:

> « أنا مذنب – مذنب مباشر بدمه! كنتُ أعلم وأشعر بانه كان بريئاً، ومع ذلك – » لا يقدر قول الكلمات، كان عقله قد تشبع بدم الرجل البريء.
>
> « أنا صنعت الصليب الذي قُتل عليه »، هكذا همس أخيراً، بصوت يخنقه العار والإرتباك وأضاف: « كنت أعلم ومع ذلك، وافقتُ. »
>
> ...انحنى شاول وامسكه من ذراعه وقال: « بكل تأكيد لا يمكنك ان تتصور بانك مذنب أكثر مني في هذا أيها النجار... ولكن لا يمكن لأي منا ان يهرب من كونه جزء في سبب موته. ألا تفهم هذا يا لينوس؟ انه حمل الفصح، قد ذبح مرة لخطايا كل العالم – خطايا كل من عاش على الاطلاق وكل من سيعيش فيما بعد. »
>
> وبدأ لينوس يذرف الدموع. فأومأ برأسه، لا يستطيع أن يرى ولا يستطيع ان يسمح لنفسه بالقبول –
>
> استمر شاول قائلاً: « فكر بهذه الطريقة يا صديقي، إذا كان عملك قد ساهم في موته، فقد ساهم أيضاً في حياة جديدة للخليقة كلها. فأنت لم تصنع الصليب فحسب يا

لينوس، بل صنعت أيضاً مذبحاً.»

الصليب يؤكد انه لا يمكننا أن نشقط بالخطيئة إلى حد لا تكون لنعمة الله القدرة لعمل أي شيء من أجل ذلك. أخذ الناس ابن الله البالغ حد الكمال، جلدوه وضربوه، وعلقوه على خشبة الصليب ليموت كمجرم مبتذل. فعلوا كل ما بإمكانهم لإذلال وإضرار وإهلاك يسوع. وكانت نعمة الله باقية أعظم من خطاياهم. أخذ الله ما فعلوه ليسوع وجعل المغفرة ممكنة بدمه.

الخلاصة

هل أنت مشارك في الاحتفال بالفداء؟ تذكر بان الصلاح لن يقودك إلى السماء. هل أنت في المسيح؟ كرس حياتك له. لا تؤجل هذا إلى يوم آخر!

الفداء مازال حقيقة، والغفران مازال معروض، والنعمة مازلت تفيض.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧